

حكمة الرجال

جاء رجل إلى آخر يطلب الأجرة عن دار كان قد أجرها له.
فقال المستأجر يشكو: أعطيك الأجرة ولكن أولاً أصلح هذا
السقف فإنه يهتز ويتفرقع.
فقال صاحب الدار: لا تخف .. فإنما يسبح السقف من خشية الله ..
فقال المستأجر: نعم .. لكنني أخشى أن يدركه الخشوع فيسجد.

قال المتوكل لأبي العيناء: ما أشد ما مرّ عليك في ذهاب بصرك؟
قال: فوت رؤيتك يا أمير المؤمنين!
فسرّ المتوكل وأمر له بصلة لحسن منطقه!

قال بعضهم لسعيد بن العاص: أتيتك في حويجة!
فقال: اطلب لها رجلاً.

قال رجل لرقبة بن مصقلة: ما أكثرك في كل طريق! فقال له:
لِمَ تستكثر مني ما تستقله من نفسك؟ هل لقيتني في طريق إلا
وأنت فيه؟

مريحي بن أكتهم برجل إلى الحبس، فقال: إني معسر. فلم يلتفت إليه.

فقال: من لعيالي؟

قال: الله لهم.

فقال الرجل: أراني الله عيالك وليس لهم أحد غير الله.

عرض على رجل شيء ليشتريه، فقال: ما عندي ثمنه. فقال البائع: أنا أؤخرك. فقال: بل أنا أؤخر نفسي.

ومن مواقف الخوف والتخلص منها في التراث، عندما يقع أحد الخارجين أو المظلومين بين يدي السلطان، أن قال هارون الرشيد لأحد هؤلاء: ما تريد أن أصنع بك؟ فقال: ما تريد أن يصنع بك رب السماوات والأرض حين تقف بين يديه، فعفا عنه الرشيد، ولكن الحاشية أوغرت صدره عليه، فرده، فقال له: يا أمير المؤمنين، لا تطعمهم، فلو أطاع الله فيك خلقه ما ولاك عليهم، فعجب من فطنته وذكائه وأطلقه.

وقال عمر بن عبد العزيز، عندما ولي الخلافة، لعبد الله بن مخزوم: إني أخاف الله فيما تقلدت، قال: لست أخاف عليك أن تخاف، وإنما أخاف ألا تخاف.

روى عن أبي العيناء أنه قال: كنت يوماً جالساً عند ابن الجهم إذ أتاه رجل فقال له: وعدتني وعداً فإن رأيت أن تنجزه، فقال: ما أذكر، فقال الرجل: إن لم تذكره فلأن من تعده كثير، وأنا لا أنساه لأن من أسأله مثلك قليل، فقال: أحسنت لله أبوك، ففضى حاجته.

سأل الرشيد أبا بكر بن عياش: من خير الخلفاء نحن أو بنو أمية؟ فقال: هم كانوا أنفع للناس، وأنتم أقوم للصلاة! فأعطاه ستة آلاف.

رأى أحد الصالحين الخليفة هارون الرشيد، فصاح به: يا هارون، لقد أتعبت الأمة، ولم يستقم أمرك. فأمر حراسه: فأحضره، فسأله بحنق:

ما حملك على أن تتاديني باسمي دون كنييتي؟! فقال: إن الله كنى أعداءه، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: 1)، وسمى أوليائه فقال: ﴿يَلْعَسَىٰ إِلَيَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: 55)، ﴿أَنْ يَتَّبِعَهُمُ﴾ (الصفوات: 104-105)، فغفا عنه.

وقالت زوجة يحيى بن خالد لزوجها: ما رأيت الأم من أصحابك، إذا استغثت لزموك وإذا أعسرت تركوك. فقال: هذا من كرم أخلاقهم، يأتوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم.

كان أحد الملوك يحب أكل السمك، فجاءه يوماً صياد ومعه سمكة كبيرة، فأهداها للملك ووضعها بين يديه، فأعجبه، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له زوجته: بئس ما صنعت. فقال الملك لم؟ فقالت: لأنك إذا أعطيت بعد هذا لأحد من حشمك، هذا القدر، قال: قد أعطاني مثل عطية الصياد، فقال: لقد صدقت، ولكن يقبح بالملوك، أن يرجعوا في هباتهم، وقد فات الأمر، فقالت له زوجته: أنا أدبر هذا الحال، فقال: وكيف ذلك؟ فقالت: تدعو الصياد، وتقول له: هذه السمكة ذكر هي أم أنثى؟ فإن قال ذكر، فقل إنما طلبت أنثى، وإن قال أنثى قل إنما طلبت ذكراً. فتودي على الصياد فعاد، وكان الصياد ذا ذكاء وفتنة، فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أم أنثى؟ فقال الصياد: هذه خنثى، لا ذكر ولا أنثى؟ فضحك الملك من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم، فمضى الصياد إلى الخازن، وقبض منه ثمانية آلاف درهم، ووضعها في جراب كان معه، وحملها على عنقه، وهم بالخروج، فوقع من الجراب درهم واحد، فوضع الصياد الجراب عن كاهله، وانحنى على الدرهم فأخذه، والملك وزوجته ينظران إليه، فقالت زوجة الملك للملك: أرايت خسة هذا الرجل وسفالته، سقط منه درهم واحد، فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم، وانحنى على الدرهم فأخذه، ولم يسهل عليه أن يتركه، ليأخذه غلام من غلمان الملك، فغضب الملك منه وقال لزوجته صدقت.

ثم أمر بإعادة الصياد وقال له: يا ساقط الهممة، لست بإنسان، وضعت هذا المال عن عنقك، لأجل درهم واحد، وأسفت أن تتركه في مكانه؟ فقال الصياد: أطال الله بقاءك أيها الملك؛ إنني لم أرفع هذا الدرهم لخطره عندي، وإنما رفعته عن الأرض، لأن على وجهه صورة الملك، وعلى الوجه الآخر اسم الملك، فخشيت أن يأتي غيري بغير علم، ويضع عليه قدميه، فيكون ذلك استخفافاً باسم الملك، وأكون أنا المؤاخذ بهذا، فعجب الملك من كلامه واستحسن ما ذكره، فأمر له بأربعة آلاف درهم. فعاد الصياد ومعه اثنا عشر ألف درهم، وأمر الملك منادياً، ينادي: لا يتدبر أحد برأي النساء، فإنه من تدبر برأيهن، ائتمر بأمرهن، فسوف يخسر ثلاثة أضعاف دراهمه.

روى عن إياس أنه قال: ما غلبني أحد قط، سوى رجل واحد، وذلك أنني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليّ رجل شهد عندي أن البستان الفلاني (وذكر حدوده) هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت، ثم قال: منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ كذا.

فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت: الحق معك، وأجزت شهادته.

قال الأصمعي: مررت بكنّاس في بعض الطرق، وهو ينشد:
وأكرم نفسي إنني أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدي
فقلت له: وعن أي شيء أكرمتها وهذه الكناسة على عاتقك؟
فقال: عن الوقوف بباب اللثام.

لما دخل إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة البصرة قال: هممت
أن أؤدب من خالف أبا حنيفة في مسألة. فقال له قائل: وهل كان
أبو حنيفة يؤدب من خالفه؟ قال: لا. فقيل له: فأدب نفسك أولاً،
فقد خالفته.

قال رجل للأحنف بن قيس: بأي شيء صرت سيدياً في قومك بني
تميم وما أنت بأجودهم ولا أشجعهم ولا أجملهم ولا أشرفهم؟
قال الأحنف: سدت قومي لأنني بخلاف ما أنت فيه. قال الرجل:
وما خلاف ما أنا فيه. قال الأحنف: تركت ما لا يعينني من أمور
الناس مثلما عنك من أمري ما لا يعينك.

وقف رجل مفرط الطول على بعض العيَّارين وهو يبيع الرمان،
فقال: هذا رمانٌ صغير. فقال له صاحب الرُّمان: لو نظرت أنا
إليه حيث تنظر إليه أنت ما كان في عيني إلا عَصاً.

قال رجلٌ لأحدهم: العلم والمال يؤخذان من البطن! قال: وكيف ذلك؟ قال: أمسك عن الشهوات يكثر مالك، وأقل من الأكل يكثر علمك.

سأل أحدهم عن رجل فقال: رزين المجلس، نافذ الطعنة. فحسبوه سيداً! فإذا هو خيَّاط: طويل الجلوس، نافذ الإبرة.

قيل لرجل: بكم تبيع شاتك؟

قال: اشتريتها بخمسة. وهي خير من ستة، وقد رأيت دونها بسبعة، وقد أعطيتُ بها ثمانية، وفي نفسي أنني لا أبيعها بتسعة. ولكن لا أنقصها عن عشرة. فمن وزن أحد عشر وإلا لم أبعها. والسلام!!

قيل لرجل طلب من أحد الأمراء ولاية: ما ولّاك الأمير؟ فقال: ولاني ظهره وأعطاني منعه!!

قيل ليحيى بن خالد: إنك لا تؤدب غلمانك؛ قال: هم أمناؤنا على أنفسنا، فإذا أخفناهم كيف نأمنهم؟

استطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود وأسمعه شراً، فقال: أستغفر الله، وأعوذ بالله من الذنب الذي سلطك به عليّ.

خرجت قرحةً في كف محمد بن واسع، فقبل له: إنا نرحمك منها.
قال: وأنا أشكر الله إذ لم تخرج في عيني.

وهب رجل لقااص خاتماً بلا فص، فقال: وهب الله لك في
الجنة عُرفاً بلا سقف!

